وماذا غير الحج؟

محمد بن أحمد الأنصاري

إن المؤمن لا يتمالك نفسه إذا رأى قوافل حجاج بيت الله الحرام يربطون أمتعتهم إلى رحابه، أو يحطون رحالهم حول جنباته ، أو لمحهم في طريقهم إلى تلك البقاع الطاهرة جماعات وفرادى - لا يتمالك نفسه أن يأخذه الشوق، ويستولي عليه الحنين إلى تلك الشعيرة والمشاعر، وقد تقصر به قدراته المالية، أو البدنية، أو كلاهما عن أن ينضم إلى قوافلهم، ويظفر بنيل مناه في مرافقتهم، ومن توسعة الله على عبادة ورفع الحرج عنهم أن قيد سبحانه وجوب الحج بالاستطاعة، فقال: {ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين}، ولم يوجبه على المستطيع إلا مرة في العمر؛ رحمة بعباده، ورفعاً للحرج عنهم، ورتب على أدائه على الوجه المطلوب من عظيم الأجر ما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: ((من حج هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه))(١)، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)).(٢)، وقوله صلى الله عليه وسلم عندما سئل: أي الأعمال أفضل؟ قال: ((إيمان بالله ورسوله)) قيل: ثم ماذا؟ قال: ((جهاد في سبيل الله)) قيل: ثم ماذا؟ قال: ((حج مبرور))(٣)، وقوله صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما قالت له: "يا رسول الله، ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال: ((لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج، حج مبرور))(٤).

ومن ورحمة الله تعالى بعباده المؤمنين وتفضله عليهم أن عظَّم أجر العمل الصالح في أيام عشر ذي الحجة فشرع فيها من الأعمال الصالحة - التي لا يعجزون عنها، ولا تتطلب من الجهد والمال ما ليس في طاقتهم مما يتطلبه أداء الحج ، بل هي في متناول أي أحد منهم في أي بلد كان، شرع لهم من ذلك- ما يدركون به من عظيم الأجور ما تثقل به موازين حسناتهم وتكفر به سيآتهم، كما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: ((ما العمل في أيام أفضل منها في هذه؟)) قالوا: ولا الجهاد؟ قال: ((ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء))(٥)، وقوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن صوم يوم عرفة فقال: ((يكفر السنة الماضية والباقية))(٦).

فليس على المؤمن إلّا أن يقبل على الله تعالى، ويصرف همته إلى اغتنام تلك الأيام بما يقدر عليه من صالح الأعمال، من ذكر، ودعاء، وتلاوة للقرآن، وإنفاق في الخير، وإحسان إلى الخلق بالقول والفعل، مع الضن بوقته أن يضيع في غير قربة، أو يمضي في غير طاعة، وليبشر بعظيم فضل الله أكرم الأكرمين، ورحمة أرحم الراحمين.

ومن أعظم ما يعين على ذلك سؤال العبد ربه الهداية والتوفيق، فاللهم اهدنا فيمن هديت، ووفقنا لما تحبه وترضاه، وصل اللهم وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.

✍ محمد بن أحمد الأنصاري

---

(١) صحيح البخاري الحديث:(١٨٢٠)، وصحيح مسلم الحديث (١٣٥٠).
(٢) صحيح البخاري الحديث:(١٧٧٣).(٣)صحيح البخاري حديث رقم: (١٥١٩).
(٤) صحيح البخاري الحديث: (١٨٦١). (٥)صحيح البخاري الحديث: (٩٦٩).
(٦) صحيح مسلم الحديث: (١١٦٢).